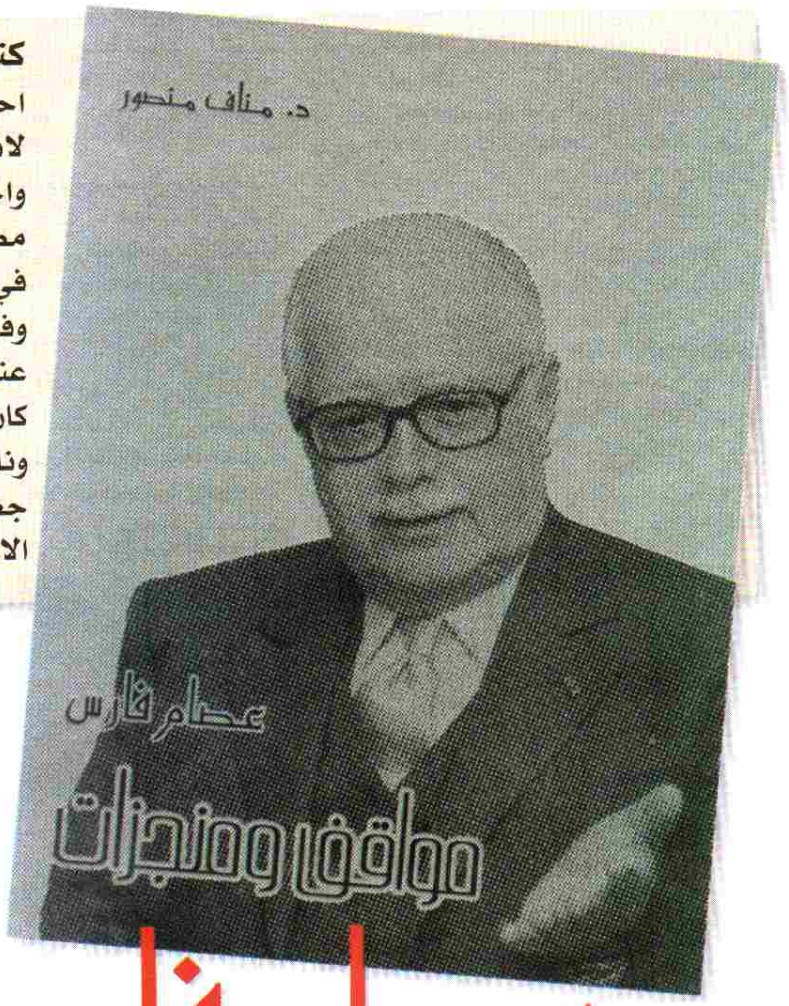

كتب فؤاد دعبول:

احبه الناس في المناطق اللبنانية كافة.
لانه كان دائما للناس.
واحبته المناطق اللبنانية، لانه يعيش همومها ويلاحق مطاليبها.
في افراحهم كان عصام فارس الى جانبهم.
وفي اتراحهم يجدونه امامهم.
عندما كان في لبنان، حمل الدولة على كتفيه.
كان نائبا لرئيس مجلس الوزراء غالبا.
ونائبا في البرلمان.
جعل عصام فارس من مكاتبه، في بناية «الصوفيل» في الاشرفية، دارا للدولة ومكانا تتجمع فيه اللجان الوزارية.

الناس أحبته وأعطته ثقتها ومناف منصور شرح تجربته

عصام فارس كان دولة في رجل ورسم صورة وطن يحتاج الى رعايته

ومن نفقته الخاصة، جعل من مكاتبه مكاتب عمل للدرس، والاعداد والتحضير لكل اعمال مجلس الوزراء.
كان دولة في رجل.
ورجل دولة يختصر اعمال الدولة، في رعايته.
عندما غادر الى الخارج، ليبتعد عن الاخطاء، اصبح عصام فارس يعمل في الداخل، وكأنه موجود بين الناس.
صحيح انه ابتعد عن ظروف تنأى بالانسان عن العطاء، لكن رجل العطاء، ظل يعطي اكثر مما كان يعطي، وهو في لبنان.
اصبح عصام فارس يشق الطرقات، ويعبدها ويغطيها بالاسفلت. خصوصا في عكار المنطقة التي يحب ويرعاها ويشملها بعنايته.
ويؤسس في رحابها المدارس، ويتعهد طموحات الشباب بعنايته وتقديماته، ويأخذ بهم من المدرسة الى الجامعة، ويغدق عليهم المنح الدراسية. المهم، بالنسبة اليه، الا تبقى منطقة من دون مدارس، والا تبقى مدينة او قرية من دون رعاية اجتماعية وانسانية.

ولم يكتف بذلك، بل اسس في عكار، فرعا لجامعة البلمند، في خطوة نادرة وجليلة.
حل عيد الميلاد المجيد، وعصام فارس بين الاهالي، يده تمتد الى كل منهم للمصافحة. يحسون بها ولا يرونها.
واطلت السنة الجديدة، اطلالة خير عليهم وبشير نور يبزغ فجره، في كل مكان وزمان.
عصام فارس لم يكن يحجم عن اداء عمل مفيد. كان رجلا استثنائيا، واراد من لبنان، ان يكون وطنا استثنائيا، يبنيه مسؤولون استثنائيون، كما قال الكاتب الالمعي الدكتور مناف منصور رفيق رؤساء الجمهورية السابقين، وكاتب خطابات الافذاذ منهم.
البداية كانت من عبارة خالدة للرجل الذي جعل من حياته، فرصا لتخليد الانسان الناجح: لا ارضى ان يبقى وطني في حال شذوذ سياسي عام، ولا اقبل ان يكون الناس متروكين، على حد تعبير ابي ميشال.
و «العيدية» كانت كتابا في موسوعة، لانه يبين ان تجربة عصام فارس مكلفة، لكنها مشرّفة.

اين مكمن الخطأ، في هذا القول:
ليس هناك مخطىء او خطأة. المشكلة ان البلد يطلب رجالات دولة، وليس زعامات مرحلية.
الكاتب مناف منصور واقعي في رؤيته. لان عصام فارس واقعي وعملي في آن.
اولويته هي مشروع الدولة.
وصاحب الكتاب، وهو صديق الرؤساء السابقين للجمهورية، يعتبر ان جمهورية ينضوي الفارس العصامي في رحابها، عنده اولوية لا يحيد عنها.
واولويته هي داخل مشروع الدولة، وهي حقوق الدولة، والمواطن، وبلورة دور لبنان ومكانته في العالم.
قبل اسابيع من صدور الكتاب، بين عام مدبر وسنة آتية، كانت واحدة من اكبر المؤسسات العالمية، تكرم في الولايات المتحدة ثلاثة رجال عظام: الرئيس الاميركي السابق جورج بوش الاب، وخلفه الرئيس الاميركي السابق بيل كلينتون وعصام فارس الوحيد من العالم العربي ومن لبنان.
الا يكبر قلب كل لبناني، عندما يكرم رجل من بلاده، مع اثنين من انجح الرؤساء في العالم؟

ان الجنرال عون لن يترك وحيداً في هذه المعركة، وأنه كما كان عنوان مرحلة تشكيل الحكومة «تمشي اذا مشى عون في الحكومة» كذلك سيكون الحال عليه في لعبة التعيينات الادارية. فاما ان يحصل عون على حصة التيار الوطني الحر بما يناسب حجمه، واما ان التعيينات ستبقى في ثلاجة الانتظار.

والدوائر المعنية تعرف ان المعركة على الجنرال عون لم تنته فصولاً بعد، وأنه اذا كانت عملية تشكيل الحكومة احدثت هزة في صفوف التيار الوطني الحر، تمثلت بنزوات الجنرالات السلطوية، الذين لا يتحملون ان يتقدمهم احد في الركب، فان الرهان على ما يمكن ان تحدثه التعيينات الادارية اكبر، وأنه كلما جرى التضييق على الجنرال في اللعبة، كلما كانت مشكلته داخل التيار أعقد وأكبر.

كمائن

واذا كان الخصوم السياسيون لعون يعدون له الكمائن على منعطف هذه التعيينات فان اصدقاءه وحلفاءه، وحلفاء حلفائه سيكونون الى جانبه، كما كان الى جانبهم في أحلك الأوقات وفي أعقد الظروف، ولا يقلل من مواقفه ومن قيمتها ان تكون تحالفاته قامت على قواعد مصلحية، وتحولت لاحقاً الى ثوابت وطنية وقناعات سياسية. والمعركة على التعيينات آتية ولا بد، وستعيد الذاكرة اللبنانية الى المعركة على الانتخابات. لأن المنابر التي ما زالت تعتليها الرؤوس الحامية ستشهد حماوة أكثر في معركة الوصول الى الادارة.

وتعتقد مصادر وزارية انه مهما كان حجم الخلاف على ملف التعيينات فانه سيبقى تحت سقف الحالة الوفاقية، التي فرضت فترة هدوء ينعم فيها اللبنانيون منذ ما بعد الانتخابات التشريعية الأخيرة. الملف كبير، يضم تعيين حوالى ٧٩ موظفاً قيادياً في الادارة العامة وأجهزة الرقابة ومجالس ادارة المؤسسات العامة.

وحتى هذه اللحظة لم يتم البحث عن الآلية التي سيجري اعتمادها لتنفيذ هذه التعيينات. ونقل عن رئيس مجلس النواب اقتراحا بان تتشكل هيئة قضائية تضم قضاة كفوئين ونزيهين، ولا ضير اذا لم تعتمد المعايير الطائفية في تشكيلها على هذا الاساس، لتقترح الاسماء وفقا لمعايير الكفاءة والسيرة الذاتية، وعلى ضوء ملفات مدروسة، تمهيدا لعرضها على مجلس الوزراء صاحب القرار النهائي.

ومن جهته ما زال رئيس الحكومة سعد الحريري يعكف مع فريق عمل خاص بدراسة الموضوع بحثا عن آلية مناسبة لتمرير هذه التعيينات، ولم يفصح حتى لرئيس مجلس النواب عن طبيعة هذه الآلية المرتقبة.

التهديد الاسرائيلي

والملف الامني هو الاشد تعقيدا وخطرا. ليس في ما يتصل بالعمليات العادية التي تعودتها الساحة اللبنانية كاستهداف الضاحية الجنوبية بتفجيرات تستهدف غالبا كوادر في المقاومة، وآخرها

الرئيس نبيه بري

الرئيس سعد الحريري

الانفجار الذي وقع في مقر حركة حماس الفلسطينية في الشارع العريض في حارة حريك. والذي ما زال مجهول الهوية لا أب ولا أم له، ولن يتمكن احد من تحديد نسبه بسبب حساسية الواقعة والموقع، والزمان الذي وقع فيه الانفجار وهو اليوم التاسع من ايام عشوراء العشرة، وهو اليوم الذي كانت الاجراءات الامنية في الضاحية في اعلى مستوياتها. واللافت ان حزب الله او حماس لم يتهما اسرائيل بتنفيذ هذا الانفجار، لما يترتب على مثل هذا الاتهام من التزام الرد سواء من قبل الحزب او من قبل الحركة.

وليست الاشتباكات الامنية التي شهدها مخيم عين الحلوة، بالامر النافر سياسيا، لان المخيمات الفلسطينية طالما تعودت على تفجر التناقضات التي تعيش داخلها سياسيا واجتماعيا وامنيا.

اما الامر الاخطر في الملف الامني فهو النوايا الاسرائيلية التي يجري تسريبها من الغرب احيانا ومن الداخل اللبناني في احيان اخرى. وليس الغريب في هذه التسريبات موضوع العدوان الذي تبيت اسرائيل شنه على لبنان، انما الغريب او الجديد هو تحديد البعض للتوقيت الذي قد يتم تنفيذ هذا العدوان فيه.

وان خطورة هذا الملف حملت رئيس الجمهورية العماد ميشال سليمان على عقد اجتماع رسمي مع الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي، وهو في زيارة خاصة غير رسمية الى فرنسا. وكان موضوع العدوان الاسرائيلي الذي يروج له احد ابرز الموضوعات التي بحثها الرئيس سليمان مع نظيره الفرنسي وقد حصل على وعد فرنسي بالتحرك باتجاه اسرائيل للبحث معها في هذا الشأن، وعلى الرئيس سليمان ان ينتظر الجواب الفرنسي كيفما كانت تتجه الجهود.

وتعوّل المصادر الرسمية اللبنانية على الحضور اللبناني على طاولة مجلس الامن، الذي بدأ في الاول من الشهر الحالي ويستمر لمدة سنتين عضو غير دائم على الطاولة التي تدير العالم على ستا اصابع.

اذ انه من على هذه الطاولة اصبح بامكان لبنان ان يصل الى المعلومات التي تتداولها الدوائر الدولية في ما خص الصراعات الدائرة على مساحة الشرق الاوسط وتحديدا على ما يتصل منها بلبنان وتحديدا النوازع العدوانية الاسرائيلية تجاهه.■

لقطة من انفجار حارة حريك

صورة الانتفاضة

يقول مناف منصور ان نائب رئيس مجلس الوزراء السابق عصام فارس، اتى من خارج نادي اللعبة السياسية اللبنانية، اتى ليبني دولة من الداخل، بمستوى الريادة اللبنانية، وليرسي في عيون العالم صورة لبنان، لبنان الكبير بتاريخه، والغني بطاقات ابنائه، والواعد بدوره ورسالته، اتى عصام فارس ليصد «الاندحار» الوطني والاقتصادي، والاداري والتربوي والثقافي والتنموي، وليوقف منزلق انكسار الاحلام. لقد لاحظ ضمور الطموح في لبنان وفي العالم العربي. قبل نصف قرن كانت الوحدة هي الرهان، فصار انقاذ الوحدة الوطنية هو المطلب وهو الانجاز. قبل نصف قرن او يزيد كان الحوار المسيحي - الاسلامي رسالتنا، فصارت الاولوية للحوار السني - الشيعي مثلا، واخذ المسيحيون يتوزعون في محاور ودوائر. كان الحوار المسيحي - الاسلامي يبحث عن رسالة هذه الدولة، دولة الكل للكل، فغدا المناخ السجالي العام، يجر الى تكريس القبليات المذهبية. انتفض عصام فارس، واصر على ان يفتح باب الغد، في زمان الالتفات العارم الى الوراء، اصر على ان يعمل لخير الجميع، في زمان انصراف الكثيرين الى ايثار مصالحهم الذاتية والفئوية. شكل عصام فارس ضمانة وطنية وضمانة عملية للدولة وللناس.

مثل عصام فارس ذلك، من خلال بناء الدولة، فكان قدوة للمسؤولين والمواطنين في البرلمان وفي مجلس الوزراء وفي الشأن العام، وتنزيه السياسة من العصبية، فاطلق انتفاضة التحرر من التحجر، وسم دوره ومكانته لدى الاشقاء العرب والاصدقاء في العالم وفي الامم المتحدة.

واراد عصام فارس ذلك، من خلال العلم على صعيد جامعة تافتس ومركز عصام فارس للدراسات الشرق اوسطية، وعلى صعيد عواصم العالم، وخصوصا في موسكو، ونيويورك ولوس انجلس وبوسطن ولندن وباريس وسواها. الامر الذي جعله يستحق اعلى درجات التقدير والاحترام في العالم.

عكار والحرمان

كانت عطاءات عصام فارس لكل المناطق، ولا سيما في منطقته عكار التي جعل منها حقلا لاطلاق ورش التطوير، مثبتا ان البناء لا يتم بالكلام، بل بالمبادرة وبالعمل وبالبذل.

وشدد عصام فارس، على ان المرتكز الوفاقي والديمقراطي، ليؤكد ان طائفة واحدة لا تحرس الدولة ولا تحمي النظام ولا تصون الوطن، وان طائفة واحدة لا تنهض بالتنمية. ولا تبني دولة «الكل للكل».

ثمة كثيرون يكبرون بوطنهم، ولبنان يكبر بعصام فارس وبامثال عصام فارس.

حقق هذه الامور في صمت وهدوء، وزرع هذه الافكار، في العقول والنفوس وهو يعتصم بالله وبالتواضع والنبل.

لا احد عرف عصام فارس، الا وعرف فيه الشهامة والرجولة والاريحية. كان الرئيس الاميركي السابق جورج بوش الاب، يردد ان عصام فارس انسان فريد من نوعه.

وقال الرئيس اللبناني العماد ميشال سليمان فيه، كلاما كبيرا: اننا ننوه بجهوده في سبيل حل النزاعات الدولية والعدالة والانماء.

ووصف وزير خارجية اميركا السابق كولن باول عصام فارس خصاله الخلقية بالتقدير، لان ما يميزه نضال

> **العماد سليمان نوه بجهوده كرجل عدالة وانماء ومواجهة النزاعات**

وتمسك بالمبادىء الخلقية والوطنية وخدمة المجتمع والالتزام بمساعدة الاجيال.

قدوة للمسؤولين

ادرك عصام فارس من اول الطريق، ان معضلة لبنان الحقيقية هي النجاح في بناء مشروع الدولة، وان دعامة هذا النجاح هي بناء المجتمع، فحين تنفصل السياسة عن المجتمع تسقط الدولة. كما ان دعامة هذا النجاح هي اعتماد التوازن، بدلا من التجاذب.

وفي رأي المؤلف ان الانجرار الى محور التجاذب يدمر الدولة. وهذا ما ادركه النائب السابق لرئيس مجلس الوزراء، الذي رأى ان فشل مشروع الدولة ليس قدرا محتوما، فبادر الى قرع جرس الانذار، من مغبة الركون الى عقلية المزرعة في الحكم، لان هذا الفشل لا يعني التخلي عن بناء الدولة، بل يعني ان نأتي بمن هم جديرون بذلك.

٥ ظاهرات مميزة

حقق عصام فارس، كما يورد مناف منصور ثلاث اولويات، نادرا ما اجتمعت لدى مسؤول واحد:

اولا: بناء الدولة امر ممكن وواجب

لم يأت الى الدولة لانه يحتاجها، بل اتى ليثبت بان بناء الدولة امر ممكن وواجب، مؤكدا، في جامعة سيدة اللويزة، ان «المسؤولين قدوة لمواطنيهم» (٣٠/١/٢٠٠٤).

لم يأت بحثا عن زعامة بل اتى الى الدولة «ليخدم» المواطن والوطن.

حمل هذا الرهان في البرلمان نائبا، وفي الحكومة نائبا لرئيس مجلس الوزراء، وارسى نهجا مثلث الاضلاع:

- مقاومة عثرات الاصلاح المتفجرة من الداخل والخارج.
- صدقية الانفتاح على الجميع للمساعدة على التزام الجميع الصالح العام.
- صوغ برنامج اصلاحي متكامل.

ثانيا: الخدمة العامة تفترض العمل الجماعي

منذ انطلاقته توجه من بينو الى الناس والى المسؤولين وشدد على ان بناء الدولة هو مسؤولية جماعية (بينو ٨/٧/٢٠٠١)، فأبى التفرد وأبى الاستفراد. لكنه قبل بتباين الرأي المستند على معطيات علمية.

في سعيه الى كسح الغام الشخصانية والمزاجية في السياسة اللبنانية ردد ان الاداء يستقيم «بالحوار والثقة واحترام الدستور» (٢٢/١٢/٢٠٠٠).

في هذا الاطار ارتسمت ثوابت ادائه كالتالي:

يريد الحوار والاصلاح، ويرفض التأجيل والارتجال.

يريد المحاسبة، ويرفض دولة المحسوبيات لان دولة المحسوبيات لا تبني وطنا (١٩/١٢/٢٠٠٣).

اعطى عصام فارس الدليل على ان قيام الدولة ليس صعبا. فما من مشكلة مستعصية الا ولها مخرج، اذا ما يجرّد المسؤول من انانيته ومن اهوائه، ومن مصالحه الذاتية.

لم يشأ عصام فارس ان يكون قائدا ثوريا، بل آثر العمل على طريقة: هكذا انا، فانظروا الى اعمالي، واعطوا نصف ما اعمل. وبشجاعة المؤمن بالحق، والواعي لامانة المسؤولية، والحريص على قواعد اللباقة في التعامل، التزم عصام فارس نهج التصويب مؤكدا ان التصويب يلزمه قدر كبير من الترفع لا سيما عند تصويب الاداء الحكومي.

الافكار الاصلاحية

هل كانت افكار عصام فارس مجرد دعوات يطلقها من وقت الى آخر؟

لا، كانت افكاره مبادىء ومناهج ترمي الى تطوير النظام السياسي على الاسس الآتية:

- تطوير النظام السياسي من خلال خطة مترابطة (٢/٦/٢٠٠٥).

● استعجال اقامة المجتمع المدني (٢٠٠١/٥/١١).
● تحويل الخطاب الطائفي الى خطاب اقتصادي واجتماعي وانمائي (٢٠٠١/٥/١١).
● اطلاق دور مؤسسات الرقابة حفظا للحقوق العامة وقطعا للعابثين بالمال العام (٢٠٠٣/٩/٣).

ومن المفارقات عندنا انه بالتوازي مع كثرة الكلام على الاصلاحات يكثر الاهتراء في القطاع العام. معالجة الفساد والتردي تستلزم مكننة الادارة مكننة مفتوحة لمراقبة الجميع.

لهذا الغرض التصويبي اثار عصام فارس جملة تعديلات دستورية، لا تمس روحية الميثاق الوطني، ولكنها تصوّب عمل الدولة، وكان يركز على اقرار هذه الاصلاحات على قاعدة الوفاق الوطني، نذكر على سبيل المثال:

١ - اعطاء الحكومة سلطة حل مجلس النواب في حالات معينة.
٢ - الزام رئيس الحكومة والوزراء بتوقيع المراسيم ضمن مهلة محددة على غرار ما هو ملزم لرئيس الجمهورية.
٣ - تحديد صلاحيات نائب رئيس مجلس الوزراء.

وكان يعجب كيف يقيمون الدنيا ولا يقعدونها اذا مست صلاحيات طوائف معينة، بينما اذا وصل الموضوع الى صلاحيات نائب مجلس الوزراء، يطالبونك بان تكون وطنيا، مدنيا.

واقترح عصام فارس جملة اصلاحات تتعلق بعمل مجلس الوزراء منها:

١ - تطوير النظام الداخلي الصادر عام ١٩٩٢، وذلك بهدف حسن تنظيم اعمال مجلس الوزراء.
٢ - فصل الامانة العامة لمجلس الوزراء، عن المديرية العامة لرئاسة الحكومة، كي لا تقع مخالفة ابسط الاصول والاعراف، مثل اقدام الامانة العامة لمجلس الوزراء، على نشر الموازنة، قبل ارسالها الى الوزراء.
٣ - الحث على ان يعقد مجلس الوزراء خلوات عمل اقتصادية وادارية (٢٠٠٢/٤/١٩) تحدد ما تم انجازه وتفعّل مساعي تنفيذ ما تبقى، وتعتمد تطبيق مبدأ الثواب والعقاب (الحوادث ٢٠٠٢/٢/٨) كما دعا الى اجراء جردة بما تم او لم يتم من البيان الوزاري (٦/ ٢٠٠١/٦).

ظاهرتان نادرتان

ظاهرتان نادرتان في السياسة اللبنانية ميّزتا حضور عصام فارس في العمل العام هما:

الأولى: اصالة المواقف. فثوابته واحدة يتمسك بها ولا يحيد عنها.

الثانية: تأكيده الدائم ان «المسؤولية رؤية وبرنامج ومنجزات».

لكن ما هي رؤية عصام فارس لبناء الدولة؟

تتألف رؤية عصام فارس لبناء الدولة من خطين متوازيين ومتكاملين في آن:

● بناء البلد من الداخل.
● تفعيل علاقات لبنان مع الاشقاء والأصدقاء وفي المحافل الدولية وهذا ما سنفصله في القسم الثاني من هذا الكتاب.

هذان الخطان يجسدان «رسولية» سعيه العام الذي يصدر عن اعتقاد راسخ لديه فحواه ان انبل المهمات بناء وطن. باشر منذ انطلاقة مسؤولياته الحكومية الى التنبيه الى انه «علينا بناء بلدنا من الداخل» (١٢/٣/ ٢٠٠٠) وللوصول الى ذلك لا بد من ركيزتين اساسيتين:

الركيزة الأولى: بناء دولة المؤسسات.
الركيزة الثانية: برنامج تنموي شامل.

ليس بالاجراءات وحدها يبنى الوطن بل لا بد من «روح عام» (٢٠٠٣/٩/٢٤) معافى يحرك المواطنين ويعمر فيهم الثقة ببلدهم وبالغد. فالدولة ليست ادارات فحسب، وهي لا تتعافى من تلقاء نفسها، والبلد يحتاج الى ما هو اكثر من ادارة الواقع.

فصل النيابة عن الوزارة

ودعا عصام فارس الى ما يأتي:

١ - ضرورة تطبيق الديمقراطية تطبيقاً مثالياً لا شائبة فيه.
٢ - اعتماد نظام مبني على احزاب غير طائفية فباعتماد نظام الأحزاب تتعزز الديمقراطية.
٣ - دعوته الى اقرار قانون اللامركزية الادارية وضمان تطبيق الانماء المتوازن عن طريق اعادة النظر في التقسيمات الادارية وتوسيع صلاحيات المحافظين والقائمقامين وتمثيل جميع ادارات الدولة في المناطق.
٤ - دعوته الى اقامة دولة المؤسسات على قاعدة تعاون السلطات مع الحفاظ على استقلاليتها.
٥ - دعوته الى فصل النيابة عن الوزارة (٢٠٠٥/٤/٢٦).

الدولة الأطول عمراً

لاحظ عصام فارس سرعة انهيار السلطة من خلال الظاهرات الآتية:

● في حقبة المحنة (١٩٧٥ - ١٩٨٩) قامت دويلات الاقتطاعات الجغرافية.
● في حقبة السنوات الاربع الاخيرة (٢٠٠٥ - ٢٠٠٩) شهدنا دويلات النفوذ الجغرافي حيث الشرعية هي الاضعف على الارض.
● في حقبات التهدئة وجدنا زعامات تتقاسم شبه الدولة (من تشكيل الحكومات الى التعيينات الادارية، الى تلزيم المشاريع وتوزع الخدمات...).

وبالرجوع الى الأسباب العميقة وراء عدم قيام الدولة المنشودة تتكشف حقيقتان:

الأولى: ان «دولة» لبنان هي ثمرة قرار دولي اكثر مما هي تجسيد لارادة ابنائه (من قرار فرساي ١٨٦٤ اعلان المتصرفية او دولة جبل لبنان الى قرار الحلفاء في ١٩٢٠ بإعلان دولة لبنان الكبير، الى اعلان الجمهورية اللبنانية في ١٩٢٦، الى الميثاق الوطني ١٩٤٣، الى الطائف ١٩٨٩: ولدت الدولة اللبنانية بقرار دولي واستمرت بقرار دولي). اي ان الزعامات ليست ابنة الارادة «الأهلية» بمقدار ما هي «مرآة» الارادة الاقليمية والدولية.

الثانية: ان «الزعامات» تخشى ان تذوب في الدولة تماما كما يخشى النظام الذوبان في المحيط العربي (يكفي التأمل في تطور المواقف لدى زعماء الطوائف باتجاه التعلق بلبنان والممتدة من الزعامات المسيحية، الى الزعامات الدرزية، الى الزعامات الشيعية، وأخيراً الى زعيم الاغلبية السنية الحالي الرئيس سعد الحريري الذي يحمل شعار «لبنان أولاً» وينشىء تكتل لبنان اولاً).

هاتان الحقيقتان ابتدعتا «نظاماً» فريداً يوفق بين حرص الطوائف على كيانيتها وتوق الطوائف الى تنظيم تلاقيها باعتباره قدراً مشتركاً بعدما اقتنعت كل طائفة بأنه يستحيل عليها حكم البلد وحدها فأخذ يشيع قاموس التوافق والتشارك بدل قاموس الهيمنة والاستئثار.

اللبناني كفر بتجاذبات اهل السياسة

أثبت عصام فارس ان السجالات ليست بديلاً من معالجة الملفات الشائكة الاقتصادية والاجتماعية والمالية والانمائية والسياسية، بل على العكس، السجالات حول الشؤون الصغيرة تستنزف الجهود لتحقيق المنجزات الكبيرة واللبناني كفر بتجاذبات اهل السياسة فأطلق صرخته الشهيرة في العام ٢٠٠٣ معلناً «لست راضياً عن الاجواء السائدة وفكرت في الاستقالة مراراً» وان الوضع الاقتصادي والاجتماعي ليس في افضل حال لا سيما ان معظم دخل البلد يذهب لخدمة فائدة المديونية.

المطلوب عقلية حكم جديدة

يحذّر عصام فارس، يصوّب، يقترح المعالجات وقت كان سواه يساجل ويهاتر.

واذا بدا دوره كمن يصرخ في البرية حيناً، واذا نجح في القاء الاضواء على الاخطار التي تتهدد الدولة والوطن والمجتمع بسبب «الأخطاء في السياسة فانزلقت البلاد الى الحرب والديون» (الاحتفال بوضع حجر الاساس لمعهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الاميركية ١٢/١٤/ ٢٠٠٤)، فهو في كل الاحوال ما انتهى يوماً الى الكفر بالاصلاح بل بقي على اندفاعته مؤكداً ان «الحلول لا تزال ممكنة» (٢٠٠٤/٢/٢٦).

لا يقر عصام فارس بالجدار المسدود بل يجتهد في كل اتجاه وفي كل الاتجاه لإرساء التعافي ناهجاً سبيلين متكاملين.

● الثورة على «المهازل والالاعيب والمسرحيات والمحاصصات والصفقات والمحسوبيات» (بيان العزوف عن الانتخابات ٢٠٠٥/٥/٩).

رأى عصام فارس ان الناس هم غير الزعامات: الناس طيبون، منفتحون، مبادرون حيث العيش اللبناني الواحد في المناطق والقرى والمدن هو غير «تساجل» الزعامات على كراسي السلطة.

الناس يكدّون والعديد من الزعامات يكايدون.

الناس «يصبرون» على إهمال السلطة لحاجاتهم او على تقصيرها عن تلبية هذه الحاجات (الكهرباء، الماء، الطرقات، الصرف الصحي، المدارس، المراكز الطبية والصحية والاستشفائية، اللامركزية الادارية، تصريف المحاصيل الزراعية والمنتوجات الصناعية..).

بينما غير قليل من مسؤولي السلطة «يعاقبون» الناس اذا تأخروا عن دفع ما يتوجب عليهم ولو بسبب هذا الإهمال وهذا الحرمان.

التجاذبات بين الزعامات والدولة

أدرك عصام فارس ان بناء الدولة يتطلب بناء «المجتمع».

لذلك ركز على بناء ثقافة سياسية نوعية تمحو العشائرية والعائلاتية اللتين تفاقمتا نتيجة التجاذب المتمادي بين الزعامات والدولة، وقدم نموذجاً للأداء مبني على القاعدة التالية: المسؤولية خدمة وليست جاهاً.

كأن الزعامات والدولة تشكلان طرفي نقيض في معادلة واحدة.

حتى تقوى الدولة «يتقلص» دور الزعامات، ولكي يقوى دور الزعامات لا بد من «انحسار» دور الدولة.

في هذا الاطار يمكن للمواطن ان يفهم لماذا كل موضوع او كل ملف هو موضع سجال وصدام بين الزعامات.

وفي هذا الاطار ايضاً ينكشف لماذا يغيب «الحسم» في اداء الدولة ويطفو «التأجيل»، والطريف أن يعدّ بعض المسؤولين التأجيل «بطولة».■